

رحمات لا بد لها من تفكر



يقول تعالى: (مِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (القصص/ 73). فمن رحمة الله بنا أن جعل الليل والنهار.

تخيّل معي... لو كانت الدنيا ليلاً فقط أو نهاراً فقط، هل تعلم حينئذٍ، كم من الأمراض العصبية والنفسية التي كنا سنصاب بها....!

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَّا إِيَّايَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَوْ لَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ) (القصص/ 71).

- سرمداً أي: دائماً...!

ويقول تعالى: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَّا إِيَّايَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَوْ لَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ) (القصص/ 72). إنَّها رحمة الله.

وانظر إلى عظم رحمة الله من خلق الليل والنهار.

إنَّ النهار لا يأتي فجأة، وكذلك الليل: بل يأتيان تدريجياً.

يقول الله: (وَاللَّيْلُ إِذَا عَسَّعَسَ * وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ) (التكوير/ 17-18).

- عسس: أي بتدرج، وتنفس أي: نفساً نفساً.

سبحان ا... إنها رحمت لا نستشعرها ولا تخطر على بالنا، بالرغم من أننا نراها كل يوم.

يا لها من رحمت تحتاج منا أن نتفكّر فيها...!

"فانظر إلى آثار رحمة ا..."

يقول تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ) (الشورى/ 28). فيدون الماء تموت الأرض، واستشعر معي: (وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ) وكأنّ المطر يوزّع رحمت ا على الأرض، تحمله الرياح مبشرات بين يدي رحمته...

وإليك هذه... يقول تعالى: (فَإِنْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) (الرّوم/ 50).

يا ا... تخيّل لو فقدنا الرحمة.. رحمة ا في إنزاله المطر. يقول تعالى: (أَأَنْزَلْنَاهُ أَنْزَلًا تَمْوُهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا) (الواقعة/ 69-70).

- المُرْن: هي السحب، وأجاجاً: أي مملح. تخيّل... لو نزل الماء مالحاً... ستموت الأرض.. وسل نفسك كم يوماً ستحياء بدون ماء...؟! إنها رحمة ا بنا.

رحمة أودعها ا في القلوب...!!

ومن رحمت ا رحمة العلاقات الاجتماعية، وهي رحمة أودعها ا في القلوب، فقد أودع ا سبحانه وتعالى في قلوب الآباء والأُمّهات حب أولادهم.

فكل أب وكل أم، إنساناً كان أو حيواناً، بداخله رحمة أودعها ا في قلبه على وليده.

وا بدون هذه الرحمة لفسدت الأرض، وكذلك الرحمة التي أودعها ا في قلوب العائلات، العم والخال والعمة والخالة...

بل انظر إلى هذه الرحمة.. إنّها الرحمة التي أودعها ا في قلوبين...

وقال عنهما: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً) (الرّوم/ 21).

يا ا...!! أوّل ما يبني هذا البيت الجميل يبني على المودة والرحمة، ولكن بمعصيتهم ا وبعدهم عنه تُنزع الرحمة تدريجياً...

"ومن رحمته أنّه لا يأخذنا بذنوبنا"

مَنْ مِنْكُمْ لَمْ يَذَنْبْ فِي حَيَاتِهِ أَبَدًا...؟! مَنْ مِنْكُمْ لَمْ يَذَنْبْ فِي حَيَاتِهِ إِلَّا (100) ذَنْبًا...؟!؟

مَنْ مِنْكُمْ لَمْ يَذَنْبْ فِي حَيَاتِهِ إِلَّا (1000) ذَنْبًا...؟! مَنْ مِنْكُمْ لَمْ يَذَنْبْ فِي حَيَاتِهِ إِلَّا...؟!؟

مَنْ مِنْكُمْ لَمْ يَذَنْبْ فِي حَيَاتِهِ إِلَّا (1000) ذَنْبًا...؟! مَنْ مِنْكُمْ لَمْ يَذَنْبْ فِي حَيَاتِهِ إِلَّا...؟!؟

ومن رحمة الله بنا أنَّهُ لا يأخذنا بذنوبنا... إنَّ ذنوبنا كثيرة كثيرة...

ومع ذلك فإنَّ الله يمهلنا... اقرأ هذه الآية وانظر إلى حالك، وتذكَّر سنوات عمرك الماضية، يقول تعالى: (وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤْخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ أَلْعَجَلُ لَهُمْ الْغُزَّابُ) (الكهف/ 58). أظنك الآن لا يسعك إلا أن تقول: الحمد لله.

يا سبحان الله... إنَّ الذنب الذي ارتكبتَه أمس، أو الذي ارتكبتَه الأسبوع الماضي لو علمه أبوك وأهلك ما غفروه لك، لكن الله غفور رحيم.

يقول تعالى: (وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَیْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (النور/ 14).

(وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَیْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَلَدٍ أَلَدًا) (النور/ 21).

ويقول: (وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا مَصْرِعَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَنْقِذُونَ) * إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ) (يس/ 43-44).

إنَّ الله لو أخذنا بذنوبنا ما ترك على الأرض أحداً، ولكن رحمةً بنا يُمهِّلنا... فنتوب ويغفر لنا... أما تحتاج هذه الرحمة لشكر؟

(لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) (إبراهيم/ 7).

ومن رحمته سترك بعد المعصية:

تخيَّل لو فضحنا الله بعد المعصية... وبعد معصيتك تجد على باب بيتك شرحاً لما فعلته من معصية: فلان عصي وفعل كذا وكذا!!! ولكن من رحمة الله أنَّهُ يسترنا بعد المعصية.

وتخيَّل لو كان للذنوب رائحة...!! فكلما ارتكبت معصية خرجت لك رائحة...

إنَّهُ من نتن الرائحة لن يطيق أحد منا الآخر...

ولكن من رحمته بنا أنَّهُ يسترنا.

"إنَّ الله لا يفضح عباده من أوَّل مرَّة".

ومن رحمته تيسير التوبة:

يقول تعالى: (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ) (البقرة / 37)، إن سيدنا آدم حينما عصى الله، وأكل من الشجرة ندم، ولكنه لم يكن يعرف كيف يتوب.

(فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ) (البقرة / 37)، إن قالها يتوب الله عليه ويغفر له.

فما هي هذه الكلمات...؟ هي: (رَبَّنَا ظَلَمْنَاهُ أَرْغُفْسَنَاهُ وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (الأعراف / 23).

حقاً إن من رحمة الله بنا أنه ييسر لنا التوبة كما رأينا كيف يسرها لآدم (ع)...

يا سبحان الله...!! ليس العجيب أن عبداً يتذلل إلى سيده ويتودد إليه، ولكن العجيب كل العجب من سيد يتودد إلى عبده، فالله يتودد إلينا برحمته.

- أراك تشعر بأن هذه الآية فيها سرٌ عجيب... هيا اجعلها ودعاءك الدائم لا يفتر منها لسانك، ولتجعلها بداية عهد جديد...

(رَبَّنَا ظَلَمْنَاهُ أَرْغُفْسَنَاهُ وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ).

المصدر: كتاب أخلاق المؤمن